المبادئ الميتافيزيقية بين الأكويني وسواريز

Metaphysical principles between Aquinas and Suarez

دة.أروى كارم محمود عبد الواحد[1]

بكلية الآداب، جامعة الفيوم، جمهورية مصر العربية

الملخص: تقوم هذا الدراسة على هدف رئيس؛ وهو بيان قيمة المبادئ الميتافيزيقية عند كلاً من الأكويني وسواريز. هذه المبادئ التي تعمل كإطار عام يحكم فلسفة الفيلسوف من خلال مجموعة من المعايير التي لا يخرج عن حدودها، هذه المبادئ التي يضعها الفيلسوفان كدعامة رئيسية يقوم عليها البناء الميتافيزيقي ككل.

This study is based on a major objective; it is a statement of the value of metaphysical principles for Aquinas and Suarez. These principles, which serve as a general framework governing the philosopher's philosophy through a set of criteria that does not go beyond its limits, these principles that the philosopher sets as the main pillar on which the metaphysical structure as a whole is based.

مقدمة:

تسعى الباحثة لبيان قيمة المبادئ الميتافيزيقية عند كلاً من الأكويني وسواريز، هذه الأسس التي تعمل على تشكيل الكيان الميتافيزيقي ككل، حيث ينظرإلى الطبيعة العامة لهذه المبادئ بوصفها أسساً تعمل كإطار عام يحكم فلسفة الفيلسوف من خلال مجموعة من المعايير والدعائم التي لا يخرج عن حدودها، هذه المبادئ يضعها الفيلسوف بوصفها ركيزة أساسية يقوم عليها البناء الميتافيزيقي ككل وتكمن أهمية الموضوع في محاولة تحديد المبادئ الميتافيزيقية عند الفيلسوفين، وكذلك تسعى الباحثة لبيان الأنواع المختلفة من الأسس؛ هذه الأنواع

[1]– اسم الباحث المرسل: دة.أروى كارم محمود عبد الواحد، كلية الآداب، جامعة الفيوم، مصر
البريد الالكتروني:

على الرغم من تعددها إلا أن كلا الفيلسوفان قد أتفقا على الإطار العام لها، وأعتمدا عليها في النسق الفلسفي ككل.

لذلك، تكمن الإشكالية في محاولة بيان أوجه التشابه والإختلاف بين الأكويني وسواريز. وبالتالي تحاول الباحثة الإجابة على مجموعة من التساؤلات، هى على النحو التالي:

- ما المقصود بالمبادئ الميتافيزيقية؟
- ما هى الأنواع المتعددة للمبادئ الميتافيزيقية؟
- كيف عرض الفيلسوفان هذه المبادئ؟
- ماهى أوجه التشابه والإختلاف بين الفيسلوفان؟

وبناءً عليه، تعتمد الباحثة في دراستها علي المنهج التحليلي النقدي المقارن،بوصفه منهجاً تحليلياً يهدف إلي تحليل أفكار الفيلسوفان من أجل الوقوف علي دلالتهما الفلسفية والميتافيزيقية،وأما كونه منهجاً نقدي يهدف إلي تحديد الشروط والخطوات الأساسية التي تقوم عليها أفكار كلا الفيلسوفان، وأيضاً من أجل تحديد الشروط الضرورية والكافية من أجل قيام نسقهما الفلسفي الميتافيزيقي، أيضا هو منهج مقارن من خلال قيام الباحثة بمقارنة الأفكار الفلسفية التي يقدمها القديس توما الأكويني بمختلف الأفكار الفلسفية الاخري من أجل البحث عن حقيقة التوجه الفلسفي للفيلسوف فرانسيسكو سواريز.

ومن ثم، تقسم الباحثة هذه الدراسة إلى مقدمة تتناول أهميه الموضوع وإشكاليته، والموضوع مقسم إلى مجموعة من العناصر، وخاتمة مزيلة بأهم نتائج الدراسة.

المبادئ الميتافيزيقية بين الأكويني وسواريز:

1) طبيعة المبادئ الميتافيزيقية:

تعتبر الطبيعة العامة للمبادئ هى الإطار العام الذي يحكم فلسفة الفيلسوف من خلال مجموعة من المعايير والدعائم التي لا يخرج عن حدودها، هذه المبادئ يضعها الفيلسوف بوصفها ركيزة أساسية يقوم عليها البناء الميتافيزيقي ككل.

وتوضح الباحثة أن الميتافيزيقا عند الأكويني تمثل ملكة المعارف التي من شأنها أن تحكم كل المعارف وتوجهها، ذلك لأن من شأنها النظر في عالم العقول ما فوق الطبيعية، هذه المعرفة تعتمد بدورها على مجموعة من المعارف التي تمثل أساساً لها كمعرفتها بالعلل والعلة الأولى؛ على وجه الخصوص الله بوصفه الخالق، ومعرفتها أيضاً بما هو فردي وخاص ومحدود، فالميتافيزيقا تعرف الوجود والموجود من خلال مجموعة من الأسس كالوحدة والكثرة والقوة والفعل؛ أي من خلال مجموعة من المقولات[1].

فأساس العلوم عند الأكويني إما أن يكون مختص بمعرفة ما هو إلهي فيعتمد على الوحي الإلهي بوصفه أساساً لهذه المعرفة؛ وفي هذه الحالة تكون هذه المعرفة مرتبطة بالعلم الإلهي، وإما أن يكون مختص بمعرفة عامة سواء معرفة ميتافيزيقية أو عملية. وفي هذه الحالة، تعتمد الميتافيزيقا على العقل بعتباره أساساً لمعرفتها، والمعرفة العملية تعتمد على الحس والتجربة، وهو ما يتضح من قوله: **[التعليم المقدس لا يسلم بثبوت مبادئه من علم بشري بل من العلم الإلهي الذي يرتب كل ما يمكن معرفته عن الحكمة العليا، مستنداً على الوحي الإلهي، أما مبادئ العلوم الآخرى إما تكون بينة بذاتها فيمتنع إثباتها، وإما أن تكون مثبتة بأدلة عقلية في علوم آخرى]**[2].

في حين، يذهب سواريز إلى القول: **[يُمثل الأساس القاعدة العامة لكل علاقة، فكل العلاقات الواقعية والحقيقية –تحتاج لبعض الأساسيات الواقعية]**[3].

فتتحدد طبيعة المبادئ الميتافيزيقية عند سواريز– إذن– من خلال مناظراته الميتافيزيقية، فعلى الرغم من عدم إختلافه عن الأكويني في هذه الأسس وطبيعتها، إلا أنه كان أكثر تحديداً وإظهاراً لها، ومن أهم هذه الأسس، هى: [أولاً–المتعاليات؛ كمقولات:

[1]– محمد الشيخ: بناء المفاهيم وإعادة بنائها "مفهوم الميتافيزيقا نموذجاً", عالم الفكر, العدد 2, المجلد41, أكتوبر– ديسمبر 2012, ص22–23.

2– توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية, ج1, ترجمة: الخوري بولس عواد, المطبعة الأدبية, بيروت, 1881, ص18.

[3]-Francisco Suarez (ed)(2006): On Real Relation, Translated by: : John P. Doyle, Wisconsin: Marquette university press, p123, ph1.

الوحدة والكثرة والحقيقة والخير والشر، ثانياً- علل الوجود؛ المادية والصورية والفاعلة والغائية والمماثلة، ثالثاً- الوجود اللامتناهي؛ يتحدث فيه عن الموجود الأول، وطبيعته، رابعاً- الوجود المتناهي؛ الجوهر والعرض، والمقولات التسع للأعراض، خامساً- الكائنات العقلية].

2) أنواع المبادئ الميتافيزيقية:

تعددت أنواع المبادئ الميتافيزيقية –كما أوضحت الباحثة من قبل- وتنقسم هذه المبادئ إلى ما تعبر عنه طبيعتها، وهى على النحو التالي:

أ- الثنائية Dualism:

تعبر الثنائية عن وجهه نظر أو مذهب يرجع ميدانه إلى مبدأين نهائيين مستقلين، لا يمكن رد أحداهما للآخر، ومن الضروري التمييز بين الثنائية الميتافيزيقية (الأنطولوجية)؛ التي تقسم الواقع إلى ذهن ومادة، أو فكر وإمتداد، وبين الثنائية الإبستمولوجية (المعرفية)؛ التي يكون التقسيم الثنائي الأساسي فيها بين الموضوع الواقعي، وبين الصورة الماثلة للذهن؛ أي المعطى الحسي، أو فكرة الموضوع[1].

وبتطبيق الثنائية على ميتافيزيقا الأكويني، فيتضح أنها توجد في عدة نواحي من ميتافيزيقاه– فعلى سبيل المثال- توجد في ثنائية الخير والشر، وثنائية العقل والإرادة...، غير أنها تتضح بصورة أساسية في حديثة عن ثنائية الوجود والماهية، وفي هذا يقول: **[توجد الماهية مع الوجود في ثلاثة نواحي، وهى: النحو الأول خاص بالله فإن ماهيته عين وجوده...، والناحية الثانية توجد الماهية في الجواهر العقلية المخلوقة حيث يختلف فيها الوجود عن الماهية؛ فالماهية مفارقة للمادة. لذلك، فوجودها ليس مطلقاً بل مقبولاً...، وتوجد الماهية على نحو ثالث في للوجود المركب من مادة وصورة حيث يكون الوجود فيها مقبولاً ومحدوداً؛ لأنها تستمد وجودها من شيء آخر...]**[2].

---

[1]- هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها, ت: فؤاد زكريا, مكتبة مصر, القاهرة,, ص456.

2- توما الأكويني: الوجود والماهية, ترجمة: حسن حنفي حسنين, من كتاب: نماذج من الفلسفة المسيحية:أوغسطين, وأنسلم, وتوما الأكويني, مكتبة الأنجلو المصرية, ط2, القاهرة, 1978, ص273-277.

وعلى نفس الطريقة، تعددت الثنائية في ميتافيزيقا سواريز، وبتطبيقها أيضاً على ثنائية الوجود والماهية، فتجد الباحثة أن سواريز قد أتبع خطى الأكويني، فقد أوضح أيضاً أن الثنائية تأتي على ثلاثة صورة، وفي هذا يقول: **[يتميز الوجود عن الماهية من خلال ثلاثة آراء، وهي: الرأي الأول– يرى أن الوجود والماهية يختلفان في المخلوقات، والرأي الثاني– يقول بتميز وجود المخلوقات صورياً عن طبيعتها بإعتبار أنه يمثل حالة من حالات تلك الطبيعة، والرأي الثالث– يقول بأن الوجود والماهية لا يتميزان في المخلوق إلا من الناحية العقلية]**[1]. غير أن الرأي الذي يرجحه سواريز هو الرأي الثالث، وهو ما ذهب إليه بقوله: **[الوجود والماهية ليس شيئاً سوى الماهية المؤلفة بالفعل. فكما تتحدد الماهية الفعلية بذاتها من الناحية الصورية من خلال مبادئها الذاتية الخاصة، فكذلك سيكون الوجود المخلوق حيث سيتم تحديده من خلال الماهية، ذلك لأن الوجود ليس شيئاً آخر سوى الماهية الفعلية ذاتها]**[2].

وبالتالي، يتضح للباحثة مدى اتفاق كلاً من: الأكويني وسواريز على إعتبار الثنائية أحد المبادئ التي يقوم عليها البناء الميتافيزيقي؛ فالثنائية مقولة ميتافيزيقية لأنها تعمل على تفسير حالات الجدل بين شيئين متناقضين في طبيعتهما، وتتضح الميتافيزيقا في حالة الجدل ذاته بين عنصرين مختلفين ولكنهما في بعض الأحيان يكونا متكاملين.

ب– التعددية Pluralism:

تعبر التعددية عن مذهب متعدد ومختلف الأنواع لشيء واحد، وفي هذه الأنواع لايكون شيئاً أكثر أساسية من الآخر، فقد تشمل الظاهرة الواحدة العديد من الأسباب المختلفة، فتعبر التعددية عن وجهه النظر التي ترى الموضوع من عدة نواحي[3].

1- Francisco Suarez (ed)(1983): On the Essence of Infinite Being As such, translated by: Norman J. Wells, USA: Wisconsin; Marquette University Press, Pp45-51.
2- Ibid, P219, Ph2
3- Simon Blackburn(ed)(2008): The Oxford Dictionary Of Philosophy ,NY: Oxford University Press , Article: P, P280.

وبتطبيق التعددية- بوصفها أحد المبادئ الميتافيزيقية- على ميتافيزيقا الأكويني، فتتضح في العديد من النواحي حيث أعتمد في إثبات وجود الله على مجموعة من البراهين المتعددة، وكذلك وضح العديد من صفات الله، ويمكن تحديد التعددية في مناقشته لمسألة العلل، فقد ذهب كلاً من: الأكويني وسواريز إلى ماذهب إليه أرسطو من قبل في مؤلفه الميتافيزيقا، والفيزياء؛ وهو تقسيم العلل إلى أربعة أقسام، وهى: المادية، والصورية، والفاعلة، والغائية، وفي هذا يقول الأكويني: **[الشيء الواحد يحتمل في ذاته العديد من الأسباب، وكذلك من الممكن أن يكون الشيء الواحد علة للعديد من الأشياء المناقضة له، وقد يكون الشيء الواحد علة وأثر ويكون في علاقة بالمثل لشيء آخر، فالعلة الغائية هى علة لكافة العلل الآخرى...]**[1]، ولم يختلف سواريز عما ذهب إليه الأكويني إذ يقول: **[يعتمد شرح مسألة العلة على فهم دقيق وكلي لكل قسم من أقسام العلة المتعددة على حدا، فكل قسم يشارك في طبيعة العلل، ولهذا السبب تنقسم العلل إلى أربعة أقسام...]**[2].

ومع ذلك، فتختلف مسألة التعددية ما بين الأكويني وسواريز إذ أن سواريز كان أكثر وضوحاً وإظهاراً لهذا الأساس الميتافيزيقي، وهو ما يتضح من مناظراته الميتافيزيقية، في حين أن الأكويني تظهر التعددية لديه بصورة ضمنية في كتاباته وفي مناقشته لمسألة ما.

ج -الإعتدالية Moderate:

تمثل الإعتدالية الحد الوسيط الذي يقع بين حدين آخرين، وفي بعض الأحيان تمثل الإعتدالية حلاً لمشكلة ما، وبتطبيق هذا المفهوم على ميتافيزيقا الأكويني نجد أنه اعتمد على الإعتدالية بإعتبارها تمثل الحد الوسيط الذي يحل به مشكلة الكليات Universal؛ فهى تمثل مشكلة مطلقة التجريدUnrestricted Abstraction- تقود الشخص

1- Thomas Aquinas (ed)(1998): On Matter and Form and the Element, Translated by: Joseph Bobik, Indiana; Notre Dame University Press, P57, Ph1.

2- Francisco Suarez (ed)(2015): On the Causes of Being in general DM12, Ch3, Translated: Sydney Penner, last Modified September 16,2015, http://sydneupenner.ca/DM12.shtml, P1, Ph1.

لإفتراض أن الكيفيات كالجوهر والعلية والتغير والأعداد يمكن أن تنطبق ليس فقط على الأجسام الحسية، ولكن أيضاً على الممالك الروحانية وما لا يصل له الإنسان بالخبرة[1]. وبالتالي، يكون الأكويني- من هذه الناحية- ممثلاً للواقعية الإعتدالية Moderate Realism؛ وهي التي تعمل على أن تكون الطبيعة هى المبدأ الرئيس بين الفرديات[2].

كذلك، تمثل نظرية سواريز عن الكليات نموذجاً للواقعية الإعتدالية، فهو يرى أن التغيرات المتعلقة بالكليات الخاصة بالعقل- تسعى لنيل الطبيعة الواقعية لموضوعات، والوحدة الصورية توصف بأنها أساساً أنطولوجياً للطبيعة الموجودة في العديد من الموضوعات، لذلك يعتبر المفهوم المتعلق بالكليات موجود ضمنياً في سياق نظرية الكليات الثلاثية[3]؛ فخصائص الوجود كلية ومطلقة وجوهرية، وهى: الوحدة، والحقيقة، والخير، وفي هذا يقول: **[هذه المبادئ الثلاث هى الخصائص الأساسية للوجود، وهو ماذهب إليه الأكويني من قبل، فخاصية الواحدية هى الخاصية الأولى لأنها مثل حالة رفض للإنقسام في ذاتها، ثم تأتي الحقيقية خاصية إعتدالية تالية للوحدة وسابقة للخير، ذلك لأن الخير موجود بشكل يقيني في الحقيقة...]**[4].

غير أن البعض يرى أن إعتدالية سواريز كانت إعتدالية أسمية Moderate Nominalism، حيث تمتلك الكليات أساسها في الواقع الفردي، ولكنها مع ذلك لا

1- Simon Blackburn(ed)(2008): The Oxford Dictionary Of Philosophy, OP.CIT, Article: A, P3.

2-HenrikLagerland(ed)(2011): Encyclopedia of medieval philosophy, NY; Library of Congress; Springer publisher, Article: Universal, P1357.

3-Daniel Heider(ed)(2014): Universal in second Scholasticism, Amsterdam; Philadelphia: Jhon Benjamin publishing company, P89, Ph2.

4- Francisco Suarez(ed)(2008): The attributes of being in general DM III, Translated by: Sydney Penner, Last Modified; May17,2008,http://sydneypenner.ca/dm3.shtml, Pp4-5.

تمثل واقعاً للماهية الفردية، وإنما مكان وجود الكليات الفعلي هو العقل، بينما العالم الواقعي يمثل حالة تتعايش فيها الفرديات ككل[1].

في حين- ترى الباحثة- أن كلاً من الأكويني وسواريز يجمعان بين الواقعية والأسمية، فالكليات كيانات عقلية لا توجد فعلياً في الواقع الخارجي؛ وبالتالي تعبر عن الواقعية؛ إلا أنه في حالة كونها وصفهاً ودلالة لما تعبر عنه ويوجد في الواقع الفعلي؛ فإنها تعبر عن المذهب الأسمي. ومن ثم، تفترض الواقعية الإعتدالية أن الطبيعة أو الماهية تمثل كيانات واقعية فقط عند وجودها في العقل المستقل عن العالم الخارجي، في حين تفترض الأسمية الاعتدالية أن الطبيعة أو الماهية موجودة فعلياً ومتحققة في الواقع الخارجي.

د- الأساس Foundation :

يعتبر الأساس هو ما يتسبب في وجود شيء ما، فيقال أن العالم المعقول أساس العالم الحسي، وقد يكون الأساس مبدأ تستند إليه جملة ظواهر أو قضايا[2]. وبتطبيق هذا الأساس على ميتافيزيقا الأكويني، فيتضح أن الأساس الرئيس الذي يطوف في ميتافيزيقا الأكويني ككل هو الله، وفي هذا يقول: **[لابد من مبدأ وأساس واحد للوجود يقبل منه الوجود كل موجود. أياً كان وجوده سواء كان وجوداً غير مرئياً وروحانياً، أو كان وجوداً مرئياً وجسمانياً...]**[3].

ومن ناحية أخرى، يؤكد سواريز على هذا الأساس بإعتبار يمثل عقيدة للكاثوليك، وفي هذا يقول: **[الله وحده هو من يمتلك القدرة على الخلق من العدم، فلا توجد هذه القوة**

1-Erik Akerlund(ed)(2006): Forms and Universals in the philosophy of Francisco Suarez, Master thesis, Sweden; Uppsala University, P34, Ph1.

2-مراد وهبة: المعجم الفلسفي: معجم المصطلحات الفلسفية, دار قباء للطباعة والنشر, القاهرة,1998, مادة: الألف, ص48.

3- توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية, م2, ترجمة: الخوري بولس عواد, المطبعة الأدبية, بيروت, 1889, ص165.

أو القدرة عند أي مخلوق، وبذلك يختص الله وحده بهذه القوة بوصفه أساس ومبدأ الكون كله...][1].

وبناء عليه، يتضح للباحثة أن الأساس عند الفيلسوفين- يمثل السبب الرئيس والجوهري والحقيقي الذي يقوم عليه البناء الميتافيزيقي ككل، كما يمثل المبدأ الحقيقي واليقيني لكافة الأشياء، بإعتبار أن كلاً منهما يقدم الله بوصفه الأساس الميتافيزيقي اليقيني ومصدراً لكافة الحقائق الذي لا خلاف عليه بينهما.

هـ- العلية Causality:

تعتبر العلية هى المسلمة الأساسية القائلة أن أي شيء لا يمكن أن يحدث بدون علة، أو أن أي حادث في الكون تحكمه علاقة العلة بالمعلول[2]. وتحتل مسألة العلية عند الأكويني مكانة كبيرة في ميتافيزيقاه، سواء في اعتماده على العلة في إثبات وجود الله، أو في تفسيره حقيقه وجود الأشياء، ومن هذه الناحية- يؤكد الأكويني على وجود الله بقوله: **[من جهة العلة فإننا نجد في المحسوسات الشاهدة ترتيباً بين العلل المؤثرة وليس يُرى مع ذلك ولا يمكن أن شيئاً يكون علة مؤثرة لنفسه للزوم وجوده قبل نفسه، وهذا محال، والتسلسل إلى مالانهائية ممتنع لذلك كان لابد من الانتهاء إلى علة أولى مؤثرة وهى التي يسميها الجميع الله]**[3]، ويوضح أيضاً: **[أن نسبة المعلولات إلى العلة في أن المعلولات إنما تصدر عن العلة الفاعلة بحسب وجودها السابق فيها...]**[4].

في حين، يؤكد سواريز على العلية في العديد من نواحي ميتافيزيقاه، حيث يذهب للقول: **[تعتبر درجة العلية أكثر كلية وتجريداً مما هى عليه في الفيزياء، ذلك لأنها**

1-Francisco Suarez(ed)(2002): On Creation, Conservation, and Concurrence, Translated by: Alfred J. Freddoso, South Bend; IN, St. Augustine Press, P66, Ph4.

2-هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها, مرجع سبق ذكره, ص453.

3- توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية, ج1, مرجع سبق ذكره, ص33.

4-المرجع السابق ذكره, ص259.

مجردة من المادة والأحساس كما هو الحال مع العقل، ولهذا السبب كانت السببية متداخلة في مجال الميتافيزيقا ومنتمية إليه][1].

ومن ثم، تُفهم العلية بصورة أكبر من المبادئ، فحتى أرسطو في شواهده- يتحدث بصورة عامة عن المبادئ، ومع ذلك يرى على الرغم من أن المبدأ أهميته صغيره إلا أنه يحتل مكانة كبيرة، وينكر أن يكون للمبدأ الأول أي علة تسمو عليه. من ناحية أخرى، تعتبر العلية أحد صفات الوجود ذلك لأنه لا يوجد وجود إلا وبه بعض الممارسات الفعالة لسألة العلية.

و- المباطنة والتجاوز Internal & Transcendental:

يُقال على الشيء أنه حاصل على قيمة المباطنة عندما يستمد هذه القيمة من طبيعته الخاصة، وليس بوصفه وسيلة لشيء آخر[2]، فتعود المباطنة إلى موضوع فكري بحد ذاته، وليس في علاقتها بموضوع آخر[3].

في حين، يعبر التجاوز عن ثلاثة حالات، وهى:أولاً- التجاوز المتعالي؛ وهو تجاوز فعلي لكل تجربة، كما هو الحال في أغلب الأدلة التي تُقام لإثبات وجود الله، وسُميت كذلك لأن ما تشتغل به لا يمكن أبداً أن يصبح موضوع تجربة، ولأنها عبارة عن معان أولية خالصة، ثانياً- التجاوز الترنسندنتالي؛ وهو الشيء الذي لا يكون مستمداً من التجربة، ويكون مع ذلك متعلقاً بمبادئها وما تتضمنه[4]، ثالثاً- التجاوز العقلاني؛ وهو الإعتقاد بوجود قوى فائقة للطبيعة وبعالم غير مرئي لايدكه العقل أو الحواس[5].

1-Francisco Suarez(ed)(2014): On The Causes of Being in General DM12,Ch2, Translated: Sydney Penner, last Modified September 15,2014, http://sydneypenner.ca/dm12.shtml, P1, Ph1.

2-مراد وهبة: المعجم الفلسفي, مرجع سبق ذكره, مادة: الباء, ص137-138.

3-أندرية لالاند: الموسوعة الفلسفية تعريب: خليل أحمد خليل, و أحمد عويدات, منشورات عويدات, بيروت, ط2, 2001, مادة: I, ص698.

4-مراد وهبة: المعجم الفلسفي, مرجع سبق ذكره, مادة التاء, ص192-193.

5- المرجع السابق نفسه, مادة: التاء, ص170.

وبتطبيق هذه المبدأ على ميتافيزيقا الأكويني وسواريز فإن المباطنة والتجاوز تتضح بصورة أساسية في حديثهما على عقيدة التثليث، فيذهب الأكويني للقول: **[الثالوث الإلهي يُعقل فيه العدد والأقانيم المعدودة، والوحدة بين الأقايم لا تمثل وحدة الذات بل وحدة الطبيعة، كما يُقال لأفراد طبيعة ما أنهم من تلك الطبيعة...]**[1]؛ فالوحدة التي يقصدها الأكويني ليست وحدة الوجود؛ وإنما هى وحدة تعبر عن طبيعتهم الإلهية، ومن ناحية آخرى يقول: **[حكمة الله هى بمنزلة شريعة العدل؛ التي هى مقياس استقامة إرادته وعدلها، وما يفعله يفعله بإرادته، فالخير المعقول هو موضوع الإرادة المباطن، وأما يفعله بإرادته متجاوزاً؛ كفعلي الخلق والعناية، فإنهما يفعله بعدل وحكمة...]**[2].

ولم يختلف سواريز كثيراً كما ذهب إليه الأكويني، إذ يقول سواريز: **[الأب لم يوجد الابن والروح القدس بإعتبارهما وسائل، بل أوجدهم محبتهً في ذاته، وعن محبته للثالوث المقدس ككل للدرجة التي يمثلون فيها جميعاً الخير الأعظم. ومن ثم، فالتالوث هو فيض إلهي باطني Divine Emanations Internal، فالثالوث لا يمثل عمليات أو أفعالاً واقعية– وذلك بالحديث عنهم من الناحية الميتافيزيقية الدقيقة– فالابن والروح القدس ناتجان عن الله الأب نتيجة فيض طبيعي من نظام ومشيئة وعقل وإرادة إلاهية]**[3].

والتبرير الفلسفي لإتفاقهما– كما ترى الباحثة– هو تمسكهما بعقيدة التثليث، فهما يؤكدان على وجود التجاوز والمباطنة وعدم إنفصالهما عن بعض، فالله لا ينفصل عن العالم بوصفه الخير الأعظم مما يدل على حالة المباطنة، في حين ينفصل الله عن العالم من خلال عمليتي الخلق والعناية، وهو ما يدل على حالة التجاوز؛ والتجاوز هنا بالمعنى

1–توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية, م1, مرجع سبق ذكره, ص390.

2– المرجع السابق ذكره, ص287.

3- Francisco Suarez(ed)(2014): De LibertateDivinaeVoluntatis, Disp 1, Translated by: Sydney Penner, Last Modified; December6, 2014,http://sydneypenner.ca/disp1.shtml, P25, Ph3.

الترنسندنتالي، فعمليتي الخلق والعناية خاصة بالله وحدة ولا يقدر أي مخلوق على أياً منهما ومع ذلك تنطبق هاتان العمليتان على العالم والمخلوقات ككل.

ز- القبلية والبعدية Priori & Posterior:

يمثل المبدأ القبلي والمبدأ البعدي نوعان من البرهان، فبالنسبة للبرهان القبلي هو البرهان الذي ينتقل من العلل إلى المعلولات، أو من المقدمة إلى ما يلزم عنها، وأما البرهان البعدي فينتقل من المعلولات المشاهدة إلى العلل المجهولة، لأنه على الرغم من معرفة المعلومات أولاً إلا أن العلل أسبق من الوجهه المنطقية[1].

ويطبق الأكويني هذا المبدأ في حديثه عن الصورة والمادة إذ يقول: **[توجد المادة بصورة قبلية على الصورة في التوالد وفي الزمان، بينما توجد المادة بعدياً على الصورة في الجوهر وفي الوجود المركب]**[2].

وبالنسبة لسواريز فهو يقول: **[المادة موجودة قبلياً على الصورة، غير أن ماهيتها موجودة بالقوة، لذلك فالصورة فعل بعدي يُظهر ماهية المادة الفعلية الواقعية...]**[3].

ومن ثم، يعتبر كلاً من المبدآن الميتافيزيقيان القبيلة والبعدية ركناً في العديد من نواحي ميتافيزيقا الأكويني وسواريز، فأعتمد كليهما على هذان المبدأن بوصفهما أساسين لتفسير السوابق واللواحق سواء في مسألتي الصورة والمادة، أو في مسألة الإعتماد على العقل والإرادة، أو في موضوعي الوجود والماهية.

الخاتمة:

[1]-جوناثان رى, و ج. أو, أرمسون: الموسوعة الفلسفية المختصرة, ترجمة: فؤاد كامل, وجلال العشري, وعبد الرشيد الصادق, مراجعة: زكي نجيب محمود, المركز القومي للترجمة, القاهرة, ط1, 2013, مادة: القاف, ص239.

2-Thomas Aquinas (ed)(1998): On Matter and Form and the Element, OP.CIT, P57, Ph1.

3-Francisco Suarez (ed)(2014): The Material Causes of Substance, Translated by; Sydney Penner, last Modified November 14,2014, http://sydneupenner.ca/dm13.shtml, P9, Ph2.

توصلت الباحثة في هذه الدراسة إلى عدة نتائج، وهى:

أولاً- تعددت المبادئ الميتافيزيقية التي أوضحتها الباحثة عند كلاً من الأكويني وسواريز، لتشمل سبعة مبادئ متنوعة، هذه المبادئ لايقوم البناء الميتافيزيقي إلا بها فهى تنتشر في أركان الميتافيزيقا عند الفيلسوفين.

ثانياً- يعتمد عرض الأكويني لهذه المبادئ الميتافيزيقية على أسلوب الضمنية؛ بمعنى أن هذه المبادئ تُفهم ضمنياً في كتاباته. في حين، يعرض سواريز هذه المبادئ صراحة في كتاباته، حيث يتميز سواريز بأنه دقيق ومجتهد وجاد جداً في كتباته.

ثالثاً- يظهر الإختلاف بين الأكويني وسواريز في المنهجية التي اتبعها كلاً منهما في إظهار وبيان ملامح الأسس الميتافيزيقية في كتاباتهم، حيث يظل توما أرسطياً مخلصاً، ويبقى- إذن- فيلسوفاً أسمياً؛ فيلسوفاً أقرب إلى الكشف عن ميتافيزيقا العلم. في حين، تعتقد الباحثة بأفلاطونية سواريز وواقعيته الميتافيزيقية. وبالتالي، يكون أقرب إلى الحديث عن الكليات والمفاهيم والصور الواقعية.

قائمة بالمصادر والمراجع الأجنبية والعربية

أولاً- المصادر الأجنبية:

[1]- Francisco Suarez (ed)(2006): On Real Relation، Translated by: John P. Doyle،
Wisconsin: Marquette university press.
[2]- _____ (ed)(1983): On the Essence of Infinite Being As such، trans by:
Norman J. Wells، USA: Wisconsin; Marquette University Press.
[3]- _____(ed)(2015): On the Causes of Being in general DM12، Ch3،
Translated: Sydney Penner، last Modified September 16،2015،
http://sydneupenner.ca/DM12.shtml.
4- _____(ed)(2008): The attributes of being in general DM III، Translated
by: Sydney Penner، Last Modified; May17،2008،
http://sydneypenner.ca/dm3.shtml.
[5]-_____(ed)(2002): On Creation، Conservation، and Concurrence،

Trans by: Alfred J. Freddoso، South Bend; St. Augustine Press.
6-_____(ed)(2014): On The Causes of Being in General DM12،Ch2،
Translated: Sydney Penner، last Modified September 15،2014،
http://sydneypenner.ca/dm12.shtml.
[7]- _____(ed)(2014): De LibertateDivinaeVoluntatis، Disp 1، Translated
by: Sydney Penner، Last Modified; December6، 2014،
http://sydneypenner.ca/disp1.shtml.
8-_____(ed)(2014): The Material Causes of Substance، Translated by;
Sydney Penner، last Modified November 14،2014،
http://sydneupenner.ca/dm13.shtml.
9-Thomas Aquinas (ed)(1998): On Matter and Form and the Element، Translated by:
Joseph Bobik، Indiana; Notre Dame University Press.

ثانياً– المصادر باللغة العربية:

1- توما الأكويني: الخلاصة اللاهوتية، م1، ترجمة: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، 1881.

2-_____: الخلاصة اللاهوتية، م2، ترجمة: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، 1889.

3-_____: الوجود والماهية، ترجمة: حسن حنفي حسنين، من كتاب: نماذج من الفلسفة المسيحية:

أوغسطين، وأنسلم، وتوما الأكويني، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، القاهرة، 1978.

ثالثاً– المراجع الأجنبية:

[1]- Simon Blackburn(ed)(2008): The Oxford Dictionary Of Philosophy ،NY: Oxford
University Press.
[2]-Henrik Lagerland(ed)(2011): Encyclopedia of medieval philosophy، NY; Library of

Congress; Springer publisher.
3-Daniel Heider(ed)(2014): Universal in second Scholasticism، Amsterdam;
Philadelphia: Jhon Benjamin publishing company.
4-Erik Akerlund(ed)(2006): Forms and Universals in the philosophy of Francisco
Suarez، Master thesis، Sweden; Uppsala University.

رابعاً–المراجع العربية:

[1]– أندرية لالاند: الموسوعة الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، و أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت،
ط2، 2001.

[2]– جوناثان رى، و ج. أو، أرمسون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل، وجلال العشري، وعبد الرشيد الصادق، مراجعة: زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013

3–مراد وهبة: المعجم الفلسفي: معجم المصطلحات الفلسفية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة،1998.

4– محمد الشيخ: بناء المفاهيم وإعادة بنائها "مفهوم الميتافيزيقا نموذجاً"، عالم الفكر، العدد 2، المجلد41، أكتوبر– ديسمبر 2012.

5– هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ت: فؤاد زكريا، مكتبة مصر، القاهرة.